علماء جبل نفوسة ودورهم في الحركة العلمية (2 - 6 هـ / 8 - 12 م)

أ. سهام ميلاد عماري - كلية التربية ترهونه جامعة الزيتونة

أ.د علي محمد سميو - كلية الآداب - جامعة مصراته

a.smew@art.misurataau.edu.ly

الملخص:

لقد كان جبل نفوسة ملجأ إلى كثير من العلماء والفقهاء في مختلف فترات التاريخ الإسلامي خاصة مع تفاقم الأزمات السياسية في المشرق الإسلامي من الحين إلى الآخر مما أدى إلى هجرة العديد منهم والاستقرار في البلاد المغربية، وهو ما ساهم في وجود نخبة من العلماء فيه تميزوا بعلمهم ومؤلفاتهم في سائر العلوم العقلية والنقلية والرياضية وغيرها والتي امتلأت الخزائن والمكتبات بمؤلفاتهم في سائر العلوم العقلية والنقلية وغيرها من العلوم المختلفة، مما أدى إلى تغيرات جذرية في الجانب العلمي والفكري والثقافي، من خلال استقرار العلماء وإقامة المجالس والحلقات العلمية التي يقصدها الناس عامة، والطلاب الذين كانوا يخصصون جُل وقتهم لطلب العلم وحضورها بتشجيع من العلماء والمشايخ وكانت أغلب العلوم المتداولة في الجبل خلال فترة الدراسة، عبارة عن دراسات دينية، كالتفسير والحديث والفقه وعلوم أخرى مثل الرياضيات والفلك والطب وغيرها.

الكلمات المفتاحية: نفوسة - علماء - الفقهاء - العلوم - نالوت - ثقافة - فكرية - مؤلفات.

Abstract

Nafusa Mountain scholars and their role in the scientific movement

6-2)AH/8-12 AD, Nafusa Mountain has been a refuge for many scholars

and jurists, in many times of Pests, this contributed to the presence of an elite group of scholars in it, who were distinguished by their knowledge and writings in all the rational, linguistic, mathematical, and other sciences, with which bookcases that bookcases have been filled with since that period of time, and he sold them at length in sciences and Authorship. The treasuries and libraries were filled with their Authorship on all the Mental Sciences and technical sciences, and other different sciences, And students who devoted most of their time to seeking knowledge and attending its Episodes, With the encouragement of scholars and sheikhs, most of the sciences circulated on the mountain were religious studies Such as interpretation, hadith, jurisprudence, and other sciences such as mathematics, astronomy, medicine, and others.

Keywords: Nafusa - scholars - jurists - sciences - Nalut - culture - intellectual - writings.

أهمية الدراسة: وتكمن أهمية الدراسة في:

1 - الوقوف على الجهود العلمية المبذولة من قبل علماء جبل نفوسة رجالاً ونساء وحرصهم المستمر على الاهتمام بالعلم وتدريس العلوم المختلفة خاصة الدينية منها واللغة العربية.

2 - محاولة إبراز ما تمتعت به المنطقة من ازدهار ثقافي وعلمي ومدى مساهمة علمائه في تطور العديد من العلوم من خلال التعريف بمؤلفاتهم المتعددة في مختلف العلوم.

3 - نفض الغبار عن أعمال فقهاء وعلماء جبل نفوسة وإظهار جهودهم العلمية في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية.

إشكالية الدراسة:

تتمثل في إبراز العوامل المساعدة في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في جبل نفوسة ومدى تتبع سير ودور العلماء في الجبل في الحركة العلمية. والي أي مدى ساهموا في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية والفكرية وبالمراحل التي مرت بها المنطقة مما

جعلتها تنافس دول الجوار في المجال العلمي والثقافي

أهداف الدراسة: ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- 1- التعريف بجبل نفوسة جغرافيا وسياسيا.
- 2- محاولة التعرف على أبرز العلماء والفقهاء الذين ساهموا في ازدهار الحياة العلمية والثقافية في الجبل ومعرفة مؤلفاتهم.
- 3- التعريف بأهم العلوم المتداولة خلال فترة الدراسة.
- 4- التعرف على أهم مراكز العلم والتعليم بجبل نفوسة وتوضيح طريقة وأسلوب التدريس بها.
- 5- إظهار الصورة الحقيقية للازدهار العلمي والثقافي الذي كانت عليه منطقة جبل نفوسة.
- 6- الوقوف على دور المرأة في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية.

تمهيد:

حينما استقرت الأوضاع السياسية والعسكرية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وجبل نفوسة خاصة بعد الفتح الإسلامي (1هـ / 7 م) ودخول الأهالي الدين الإسلامي شهدت المنطقة تغيرات كبيرة في مختلف مجالات الحياة الثقافية والعلمية⁽¹⁾.

أولا: أهم العوامل التي ساعدت على نشر العلم والنهوض بالحركة الفكرية:

لقد كان هناك عدة عوامل ساعدت على نشر العلم والمعرفة، ومرجعياً ذلك جهود العرب المسلمين المشاركة في تشكيل النواة الأولى للحياة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي، فقد دخل إفريقية عدد كبير من الصحابة، منهم عبد الله بن عمر بن

¹ - محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، منشورات مؤسسة تاولت الثقافية سلسلة دراسات تاريخية، مؤسسة تاولت الثقافية، 2008، ص 56.

الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (2).

كما تتمثل جهود العرب المسلمين المشاركة في البعثة العلمية الأولى التي أرسلها عمر بن عبد العزيز إلى المغرب الأدنى "إفريقية" في 100 للهجرة، لما لها من دور بارز في النهضة العلمية في المنطقة، وتتكون البعثة من عشرة علماء، وهم: سعيد بن مسعود التجيبي، وطلق بن حابان، وعبد الرحمن التتوخي، وبكر الجذامي، وأبو عبد الرحمن الحلبي، وإسماعيل عبيد الله، وموهب المعافري، وحيان بن أبي جبلة (3).

لقد كان لهذه البعثة في القرن الثاني الهجري دورًا مفصليًا وأثرًا تاريخيًا في نشر الإسلام واللغة العربية وأحكام الشريعة، إذ وضعوا الأسس الأولى للحركة العلمية، وبُنيت عليها الحياة الثقافية في البلاد حتى امتدت إلى الأندلس وإفريقيا (4). ويعد القرن الثاني للهجرة هو البداية الحقيقية للنهضة العلمية في الجبل، حين قدم سلمة بن سعيد لبلاد المغرب، قادمًا من البصرة؛ لنشر المذهب الإباضي سنة (105 هـ، 720 م) (5).

كما أرسل سلمة بن سعيد بعثة علمية ضمت خمسة من كبار رجالات الإباضية، وهم: عبد الرحمن بن رستم، وأبي الخطاب بن الأعلى بن السمح، وعاصم السدراتي،

² - أبو العرب محمد القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي، ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968، ص 73.

³ - محمود حسين كوردي، مرجع سابق، ص 56.

⁴ - محمد مرغيت، البعثة العمرية وأثرها في توطين الإسلام والعربية ببلاد الغرب الإسلامي، مجلة

الحوار الفكري، العدد 11، جامعة أدرار، الجزائر، 2016، ص 113.

⁵ - محمود حسين كوردي، مرجع سابق، ص 37.

وإسماعيل الغدامسي، وداوود القبلي النفاوي، وأطلق على هذه الحملة اسم حملة العلم المغاربة، التي بعد عودتها، برز العديد من العلماء الذين تلقوا عنهم العلم، مثل عمر بن يمكتن، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن، وخليل الدركلي، وغيرهم (6). هذا ويعد جبل نفوسة من ضمن بلدان العالم الإسلامي والذي تربطه بهذا المحيط علاقات ثقافية وعلمية وعلى ذلك شد بعض العلماء وطلاب العلم الرّجال إلى أهم الحواضر الإسلامية والعلمية طالبين العلم والمعرفة (7). ومن أمثالهم: الشيخ محمد بن مغطير الجناوني الذي رحل إلى البصرة بالعراق من أجل العلم، وبعد رجوعه أصبح مفتياً للناس، وكان ذلك في القرن الثاني للهجرة، والشيخ أبو يعقوب يوسف بن نفاث التيمجاري النفوسي، والشيخ إبراهيم بن يخلف بن مالك الخرمانى (8). ومن العوامل التي ساعدت أيضاً على نشر العلم، الحلقات والمجالس العلمية، التي أخذت تنتشر تدريجياً في كل قرى الجبل، مثل: جادو، وشروس، ولالت، وتندميرة، واجناون، وابديلان، وقطرس، وايعطمان، ونويرف، وتميجار، وأجيطال، ويعو، وميري، وغيرها، ولاقت هذه الحلقات إقبالاً كبيراً من التلاميذ والطلبة، فمنها تخرج أشهر العلماء (9)، مما أثار إعجاب الإمام عبد الوهاب عندما قدمت إليه جماعة منهم (10)، تعجب لكثرة علمهم وورعهم ورزانة أحلامهم وكانت تتم هذه الحلقات

6 - سالم جمعة غريبيل، مظاهر الحياة العلمية في جبل نفوسة (502 هـ / 1108م)، مجلة المنتدى

الجامعي، العدد 28، 2021، ص 27.

7 - محمود حسين، مرجع سابق، ص 87.

8 - مقرر بن محمد البغظوري، سيرة أهل نفوسة، مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،

ليبيا، ص 140.

9 - سالم غريبيل، مرجع سابق، ص 28.

10 - أبو العباس أحمد بن عبد الواحد الشماخي، السير، طبعة مخطوطة، ص 171.

العلمية في المساجد المنتشرة في الجبل، فكان عدد التلاميذ أعداد كبيرة من الجبل وخارجه، إذ يصل إلى 300 تلميذ تقريباً، وكان يدير حلقات العلم هذه عدة مشايخ، مثل الشيخ: عبود الكزيني الذي كان يحضر حلقاته التلاميذ من مختلف الجهات، كما يشجع العلماء طلابهم في حلقات العلم على الحوار والمناقشة وقول آرائهم دون تردد وطرح الأسئلة، ويقولون في ذلك: "السؤال سبب العلم ومفتاحه" (11).
تعتبر الحلقات العلمية من وسائل التعلم والتعليم، حيث كان لبعض المشايخ حلقاتهم العلمية التي تعقد في مختلف الأماكن، في المساجد أو منازل العلماء، وحتى في الساحات.

ومن بين حلقات العلم بالجبل أيضاً حلقة الشيخ: أبو ميمون بن أحمد الجيطالي (283 هـ / 896م) هذه الحلقة لا تعرف التوقف أو الفتور، ومن العلماء الذين كانوا يعقدون المجالس العلمية الشيخ: أبو الشعثاء السننوتي، والشيخ يحيى بن يونس السدراتي الذي وصفه الدرجيني بأنه كان من أهل العلم والورع والزهد (12)، وحلقة الشيخ هارون التمشوشي في قرية اجناون، ثم انتقل إلى أبنائين كما بنى مسجداً بعد أن ولي الأمور، فأصبح كهفًا ومأوى لأهل العلم والدين.

كذلك هناك الحلقات العلمية التي كانت تدار في منازل العلماء، فكانت تعتبر أحد منارات العلم في جبل نفوسة منذ وقت مبكر من العصر الإسلامي، حيث فتحو منازلهم لاستقبال الطلاب والسائلين عن مسائل تحتاج لتفسير أو فتوى لنوازلهم، وكذلك استقبال طلاب العلم كباراً وصغاراً؛ لينهلوا من العلماء والمشايخ العلوم

11 - محمود حسين كوردي، مرجع سابق، ص 87.

12 - الدرجيني، أبو العباس، أحمد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، قسطينة، مطبعة

البعث، 1974، ص 294.

المختلفة⁽¹³⁾.

ومن أمثال هؤلاء العلماء الذين فتحوا منازلهم للعلم والتعليم، وكان لهم الدور في تخريج الأسرة العلمية الشيخ أبو محمد عبيدة بن زارور التغميني (ق 4 هـ) الذي اتخذ من منزله مجلساً يفتي فيه للناس، فتخرج على يديه زوجته العالمة المفتية أم زعرور (نانا الجيطالية ق 4 هـ)، وابنه مامد، وكذلك قَدِمَتِ الفتياتُ إلى منزل هذه العالمة نانا، وأصبح المنزل منارة للعلم وله تأثير ثقافي وديني وعلمي⁽¹⁴⁾.

كما كان منزل هارون الجلامي الذي يعد من أشهر شيوخ الجبل منارة لتلقي العلم، ومنزل بني عبد الله، وهي دار أبي محمد الدرفي الذي كان حاكمًا للجبل، وغيرهم كثير.

ثانيا / مراكز العلم والتعليم: -

مما يدل على رقي الحضارات الإسلامية، الاهتمام بطلب العلم، والذي دائماً ما يكون نتيجة منطقة يسودها الاستقرار السياسي والاقتصادي من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت على قدر من العمران البشري كما يقول ابن خلدون: "في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة"⁽¹⁵⁾. وبالنظر لاهتمام سكان الجبل بالعلم والدين أسست مجموعة من المساجد والمدارس في المنطقة فكان لها إسهام بارز في أحضان العلم على فترات متتالية.

¹³ - ناصر بن علي بن سالم الندابي، وشريفة عبد الرزاق الشريف، منازل العلماء ودورها في النهضة

العلمية بجبل نفوسة، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد الرابع والأربعين، 2023، ص 282.

¹⁴ - المرجع نفسه، ص 283.

¹⁵ - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1998، ص 402.

1 - المساجد: -

اهتم أهالي الجبل ببناء وتشبيد المساجد في مختلف مدنهم وقراهم، فلا تكاد تخلو مدينة أو قرية من وجود مسجد أو أكثر تم تأسيسه بعد الفتح الإسلامي لجبل نفوسة، وكان هناك العديد من المساجد التي أدت دورًا كبيرًا في الحياة العلمية في الجبل⁽¹⁶⁾، ونذكر نماذج منها:

أ - مسجد أبي خليل صال الدركلي ق (2 هـ / 8 م)

أسسه الشيخ أبي خليل صال الدركلي بعدما أنهى تعليمه على يد مشايخه، في قرية دركل في القرن الثاني الهجري، وهو عبارة عن بناء تحت الأرض "غار" أسفل ربوة دركل⁽¹⁷⁾، والذي أصبح مكانًا للعبادة أولاً وللحلقات العلمية ونشر العلم واللغة والثقافة أيضًا.

ب - مسجد عبيدة عبد الحميد الجناوني

يعد أبو عبيدة الجناوني من علماء القرن الثالث الهجري، وينتسب إلى قرية إيجانون، أسس هذا المسجد بقرينته، كان مسجده متسعًا، حتى ورد إنه "اجتمع به سبعون عالمًا من كبار علماء اجنانون في وقت واحد في أيام أبي عبيدة الجناوني"⁽¹⁸⁾، وهذا ما يدل على كثرة العلماء في هذه القرية، وربما كل عائلة يوجد من بينها عالم.

ج - مسجد عمرو بن فتح المساكني

قام الشيخ عمرو بن فتح -الذي ستنطرق إليه لاحقًا- في القرن الثالث هجري بتأسيس هذا المسجد بقرية امساكن "قطرس حاليًا"، وكان لهذا المسجد الدور الكبير

¹⁶ - المرجع نفسه، ص 60.

¹⁷ - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 60.

¹⁸ - الشماخي، مصدر سابق، ص 345.

في نشر العلوم والفنون الإسلامية، إلى جانب الثقافة واللغة العربية، وكانت تعقد فيه الجلسات العلمية، التي كان غالبًا ما يتولاها الشيخ عمروس (19).

2 - المدارس

تعد المدارس في جبل نفوسة من أهم المراكز التي لها الدور الأكبر في إثراء الحركة الفكرية والثقافية، حيث كانت في الأصل موصولة بالمساجد، وكان هدفها تحفيظ الصبيان القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة (20)، وهذه المدرسة الملتصقة بالجامع كان يطلق عليها اسم الكتاب وكانت مقتصرة في تعليم الكتابة وحفظ القرآن (21).

ومن أبرز المدارس التي اشتهرت بها المنطقة

- أ - مدرسة عمر بن يمكثن ق (2 هـ / 8 م)، وهي أول مدرسة أسست في الجبل.
- ب - مدرسة أبي المنيب محمد بن أنس الدركلي.
- ج - مدرسة أبي القاسم سدرات البغطوري (3 هـ / 9 م).
- د - مدرسة أبي عثمان الطمزيني (3 هـ / 9 م).
- هـ - مدرسة أبي يحيى ماطوس الشروسي (4 هـ / 10 م). وغيرهم كثير.

3 - المكتبات:

كان من ثمار ازدهار الحياة العلمية في جبل نفوسة تراكم الكتب والمؤلفات والتي منها ما جاء عن طريق تجارة الكتب التي كانت عن طريق حركة التبادل الثقافي

19 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 64.

20 - حسين الكوردي، المرجع السابق، ص 66.

21 - منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس

الهجري، دار المريخ للنشر، 1981، ص 11.

بين المشرق والمغرب الإسلاميين خاصة في العصور الوسطى⁽²²⁾، وكانت المكتبة تعرف باسم الديوان في جبل نفوسة في ذلك الوقت وكانت تشتمل الديوان على مجموعة مؤلفات أهل المشرق أيضاً⁽²³⁾.

والمكتبات نوعان: منها الخاصة التي يملكها شيوخ وعلماء يتوارثها أبناؤهم جيلاً بعد جيل، وأحياناً يهب مؤلفوها بعضها كصدقات للمكتبات العامة أو لطلبة العلم، وعلى سبيل المثال هذا ما فعله الشيخ أبو الربيع ابن أبي هارون عندما أوصى فقال: أما المكتبات العامة، فهي مفتوحة أمام القراء وطلبة العلم وملكيته للمجتمع وتكون أغلبها في المساجد⁽²⁴⁾.

وهناك مكتبة كبيرة في الجبل تضم عدداً كبيراً من المؤلفات التي يقدر عددها حوالي ثلاثة وثلاثون ألف كتاب كلها لأهل المذهب⁽²⁵⁾.

كما توجد مكتبة أخرى كبيرة في مدينة شروس المشهورة بخزانة نفوسة، وغيرها من المكتبات في جبل نفوسة التي استفاد منها طبقة الفقهاء والعلماء وطلاب العلم⁽²⁶⁾.

ثالثاً / نماذج من علوم وعلماء الجبل وأهم مؤلفاتهم

1 - العلوم

شهد القرن الثالث الهجري قفزة علمية وثقافية كبيرة في الجبل تبايعاً للتطور الحضاري في أغلب العالم الإسلامي فبرز أسماء لعدد من العلماء والعالمات في مختلف العلوم

22 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 75.

23 - الشماخي، مصدر سابق، ص 424.

24 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 28.

25 - الشماخي، مصدر سابق، ص 424.

26 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 76.

والفنون ومن أبرز هذه العلوم سواء النقلية أو العقلية:

أ - علم الفقه:

يعد علماء الجبل ببلاد المغرب الإسلامي من الرواد في الاهتمام بعلم الفقه، حيث رحل عدد منهم إلى بلاد المشرق؛ لدراسة الفقه على يد العلماء والفقهاء المشاركة (27).

واهتموا بعلم الفقه بدرجة كبيرة، حتى إن بعض الدراسات تذكر أن الحضارة الإسلامية يمكن أن يطلق عليها اسم حضارة الفقه (28)، فهو يحتل الصدارة بين العلوم الأخرى. ومن علماء الجبل الذين اهتموا بالفقه الشيخ: أبو زر أبان بن وسيم الويغوي، والشيخ سدرات إبراهيم المساكني النفوسي، وأبو حفص عمرو بن فتح، وأبو القاسم البغظوري، وغيرهم.

ب - علم التفسير:

اهتم علماء الجبل بتفسير كتاب الله وتوضيح معاني آياته الكريمة، إما تفسير نقلي عن السلف من الصحابة والتابعين، أو تفسير عقلي، وهذا النوع الذي اهتم به علماء الجبل في تفسير كتاب الله والنقلي كذلك، ومن هؤلاء العلماء الشيخ أبو المنيب ما مد بن يأنس الدكلي، وتخرج على يده عدد من المشايخ، منهم الشيخ أبو خليل صال الدركلي (29).

27 - درسوا الفقه الإباضي خلال ق (2 هـ / 8 م)، وانتشر الفقه في بلاد المغرب الإسلامي وحتى

وصل إلى ما وراء الصحراء عن طريق تجار وعلماء الجبل الرحالة، انظر حسين الكوردي، مرجع سابق ص 107.

28 - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1994، ص 96.

29 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 141.

ج - علم أصول الدين:

هو علم يعنى بمجموعة من القضايا الدينية حيث كان اهتمام العلماء والفقهاء به في الجبل، وعالجوا بعض القضايا التي فيها خلاف بين العلماء، وحاولوا تقريب وجهات النظر بأدلة وبراهين من القرآن والسنة، وتمخض محيطهم بإنتاج وافر⁽³⁰⁾.

ومن أبرز العلماء في هذا المجال، هارون موسى بن يونس الذي تعلم قرابة الثلاثين عاماً على يد الشيخ أبي القاسم البغطوري حتى إنه درس في علم الأصول والحجة والمناظرة، وبورك في علمه فبلغت فتواه المشرق والمغرب⁽³¹⁾.

د - العلوم اللغوية والآداب والشعر:

وهي الأساس لتعلم باقي العلوم الأخرى خاصة حفظ القرآن والعلوم الشرعية والدينية، ومن علماء الجبل باللغة العربية أبو عبيدة الأعرج، وكان علماء الجبل يشجعون على اللغة العربية؛ لأن اللغة البربرية كانت هي الأكثر استعمالاً، وسكان الجبل لا يتقنون العربية كثيراً⁽³²⁾.

ومن العلماء الذين اهتموا بالجانب الأدبي في الشعر بالجبل الشاعر مترو بنت أبي عثمان الدرجي المزاتي⁽³³⁾، كذلك الشيخ أبي عمران بن زكريا كان يثني على تعلم اللغة العربية ويحقر طلابه عليها حيث روى أبو محمد عنه بأنه قال: "إن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع وتعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتاباً إلى بلده لم يكن فيه فكأنما تصدق بألف حمل دقيقاً على

30 - المرجع نفسه، ص 143.

31 - الشماخي، مصدر سابق، ص 278.

32 - المصدر نفسه، ص 402.

33 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 149.

أهل البلد" (34)، ومن العلماء الذين اهتموا بالأدب وعلم اللسان أبو الربيع سليمان،
ومحمد ابن سدرين الوسياني في النحو (35)، وغيرهم من علماء الجبل ما لا يمكننا
حصرهم.

كما برع النفوسيون في مختلف العلوم الأخرى، مثل: الطب والفلك والحساب والتنجيم
(36).

رابعا / نماذج من أبرز علماء جبل نفوسة: _

1 - الشيخ أبو خليل صال الدركلي:

الشيخ أبو خليل صال الدركلي كان من فقهاء الجبل في القرن الثالث الهجري، التاسع
الميلادي الذي ينتسب إلى قرية دركل، وينسبه آخرون إلى أهل مرجس (37)، أسس
مسجداً عُرفَ باسمه بقريته تمت الإشارة إليه سابقاً، يعد الشيخ أبو خليل من علماء
الفقه، فكانت فتواه وأقواله تملأ الكتب الفقهية والدينية، حيث كان يحرض الطلبة على
طلب العلم أينما كان ووجد، ويقول لتلاميذه سيروا إلى الحلقة واقصدوا حيثما كانت
يا كسالى، ودرس على يده العديد من التلاميذ الذين أصبحوا علماء بعد أن تخرجوا
أمثال أبي أبان بن وسيم الويغوي، وأبو معروف، وبدران بن جواد اللذان كان لهما
دور كبير في الحركة العلمية واهتموا بعلم الفقه أيضاً (38).

34 - الشماخي، مصدر سابق، ص 402.

35 - الدرجيني، مصدر سابق، الطبقات، ص 119، ج 1.

36 - الشماخي، مصدر سابق، ص 402.

37 - محمود كوردي، مرجع سابق، ص 107.

38 - المرجع نفسه، ص 108.

2 - الشيخ أبو حفص عمرو بن فتح المساكني:

من علماء القرن الثالث الهجري، هو أيضاً من علماء الفقه في جبل نفوسة وهو من قرية اموساكن "قطرس"، واهتم منذ صغره بدراسة الكتب، ومن أبرز العلوم التي درسها علم التفسير والفقه واللغة والعقيدة وعلم الكلام؛ حتى أصبح من كبار أئمة الدين والعلم، خصوصاً في علم الفقه والفتاوى، وتلقى علمه على يد مشايخ الجبل عندما مكث بالمغرب عشرين عاماً في طلب العلم، كذلك سافر إلى المشرق لدراسة الفقه (39)، ومن مشائخه العلامة أبو غانم الخرمانى، والعلامة محمد بن محبوب القرشي، واهتم الشيخ عمرو بالعلم الفقهي دراسةً وتأليفاً، فقد أشارت المصادر لقدرة عمرو على العطاء والإبداع الفكري، كما قام بنسخ مدونة الخرمانى الفقهية (40).

اتصف الشيخ عمرو بأنه أعلم أهل زمانه، وقد ذاع صيته بين علماء الإباضية، ولولاه لدثر معلم المذهب وانطمس وعفى أثره واندرس" (41).

كما أشارت بعض المصادر لعزم الشيخ ابن الفتح إلى تأليف كتاب في الفقه، ووضع له منهجاً لم يسبقه أحد إليه، يبين فيه الأحكام الدينية وفق الكتاب والسنة والرأي، إلا أن الموت كان أسبق من عزم ابن الفتح، فلم يتم إنجاز ذلك المشروع العلمي (42)، ومن أهم الوظائف التي تولها الشيخ منصب القضاء وكان حازماً في ذلك معتمداً

39 - البغطوري، مصدر سابق، ص 130.

40 - الدرجيني، مصدر سابق، ج 2، ص 323.

41 - المرجع نفسه، ج 2، ص 320.

42 - يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، السير وأخبار الأئمة، مخطوط مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات

الليبية ص 35.

على تطبيق الحد وفق الكتاب والسنة، وهو أول من دَوّن أقوال المسالمين والمتخاصمين وهو ما عُرِفَ فيما بعد باسم المحضر أو "محضر التحقيق" (43). وكان الشيخ عمروس مشجعاً لطلابه على طلب العلم ومديراً لحلقات العلم والمجالس العلمية سواء في منزله أو في المساجد ومن أهم أعماله أيضاً تأسيسه للمسجد الذي عُرِفَ باسمه وهو مسجد الشيخ عمروس بن الفتح في القرن الثالث الهجري، الذي أصبح أحد مراكز العبادة والعلم.

هذا وقد شارك عمروس في موقعة مانو الشهيرة، والتي أسر فيها عمروس حتى توفي بعد ذلك -رحمه الله- سنة 283 هـ / 896 م عليه (44).

3 الشيخ أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري النفوسي:

وُلِدَ أبو القاسم سدرات عام 163 هـ / 776 م في قرية بغطورة، ومن شيوخه الشيخ أبان بن وسيم الويغوي، تخرج من مدرسته بويغو حيث كان يقطع كل ليلة المسافة بين بغطورة وبويغو من أجل طلب العلم وهو من العلماء الذين نجوا بعد موقعة مانو الشهيرة وأصبح يفتي للناس بعد الواقعة ثلاثة أيام بلياليها (45) واهتم بالنهوض بالمسيرة العلمية وأخذ على عاتقه هذه المسؤولية العلمية فاشتغل في التدريس وتخرج على يديه عدد لا بأس به من العلماء، مثل: أبو هارون موسى بن يونس الجلامي وهو من أشهر علماء الجبل خاصة في أصول الدين وممن نبغوا في هذا المجال وهو من قرية جليمت في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ورأى في نفسه المقدر

43 - سالم غريبيل، مرجع سابق، ص 43.

44 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 109.

45 - الشماخي، مصدر سابق، ص 235.

على تعليم غيره فافتتح مدرسة بقريته وأنفق على طلابها من ماله الخاص (46) الذي اهتم هو الآخر بنشر العلم وتشجيع الطلبة على الإقبال على دروس المجالس العلمية فهو الذي قال فيه ابن ماطوس: "لو علم الناس ما ينفعهم لزدحموا على باب داره كما يزدحمون عند باب دار أبي عبيدة في البصرة" (47)، كما أُنقن علم الأصول والمنطق والفقه وجمع بين العلم والمال الذي كان ينفقه على طلاب العلم القادمين من خارج المنطقة .

4 - الفقيه الشيخ أبو يحيى زكرياء بن يونس الفرستائي: -

وينتسب إلى قرية فرسطا وبها بدأ تعليمه العالي والابتدائي على يد مشايخها وفقهائها، ثم رحل إلى مدينة شروس لإكمال تعليمه العالي على يد الشيخ أبي يحيى سليمان ماطوس، لكن على رغم من أن شروس كانت واسعة وهي عاصمة الجبل إلا أنها كانت مكتظة بالسكان لعدة أسباب أهمها مكانتها العلمية وهي مدينة جذب للطلاب (48).

عرف بحبه للترحال في طلب العلم والتجارة خاصة في السودان الذي أقنع ملكه بالدخول فيه وكان يعمل على نشر الدين الإسلامي واللغة العربية فيما وراء الصحراء فالشيخ يحيى اعتمد عليه كثيرًا في الجانب العلمي والأمور العلمية، كما أنه أسس مسجدًا بقرية فرسطا عرفت باسمه، ومن أشهر تلاميذه أبو محمد الخصيب والنمصصي ووأرسفلاس بن محمد المهدي (49).

46 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 134.

47 - الشماخي، مصدر سابق، ص 278.

48 - البغطوري، مصدر سابق، ص 50-51.

49 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 122.

5 - الشيخ أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي: -

من علماء الفقه بالجبل عاش في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. يرجع أصله إلى مدينة لالوت (نالوت حالياً) ومن شيوخه الذين تعلم على أيديهم أبي هارون موسى بن يونس الجالامي⁽⁵⁰⁾. وكان له دور في الحركة العلمية في الجبل حيث إنه أسس مدرسة عرفت باسمه وكان له عدد كبير من التلاميذ والطلاب في الجبل.

6 - الفقيه أبو محمد الخصيب بن إبراهيم النمصمي:-

من أشهر علماء الجبل، ينسب إلى قرية نممص في الجبل وتعلم على يد مشايخ، منهم أبي يحيى زكريا الفرسطائي، وربيع بن سليمان بن هارون اللالوتي⁽⁵¹⁾ كان يقوم على إعداد الحلقات العلمية وأكمل تعليمه في مدينة لالوت التي تبعد عن مدينته حوالي (200 كم)، وبعد تخرجه درس في قريته عددًا من الصبيان الذين تخرجوا على يديه⁽⁵²⁾. كذلك يمكن القول بأن العلم لم يقتصر على الرجال فقط، بل كان هناك النساء اللاتي تعلمن وتلقين الدروس في مختلف العلوم حتى أصبحت عالمات من أشهر علماء الجبل، ومنهن على سبيل المثال لا الحصر:

7 - العالمة أم سحنون اللالوتية: -

يمكن القول بأن العلم لم يقتصر على الرجال فقط، بل كان هناك النساء اللاتي تعلمن وتلقين الدروس في مختلف العلوم حتى أصبحت عالمات من أشهر علماء

⁵⁰ - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 117.

⁵¹ - الشماخي، السير، مصدر سابق، ص 313.

⁵² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الجبل، ومنهن على سبيل المثال لا الحصر، أم سحنون وهي، إحدى نساء الجبل من مدينة لالوت "نالوت" وتعد من العالمات الناصحات، عاشت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كثيرًا ما يرجع إليها للاستفادة والنهل من علمها وورعها، كما كانت تزورها النساء والعجائز لاستشارتها في أمور الدين والدنيا، قال عنها الشماخي بأنها "أفضل عجوز في الجبل"، تركت العديد من الحكم والأقوال المأثورة في الأدب والحكمة، والتي كان لها دور هام في الحركة والنهضة العلمية والدينية (53).

8 - أخت الشيخ عمرو بن فتح المساكني (54): -

وكان لها دور عظيم في النهضة العلمية في جبل نفوسة، وظلت تعرفها المصادر بأنها أخت عمرو لعدم العثور على اسمها فيها، وكانت من عالمات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وهي عالمة في الفقه أخذته عن أخيها الشيخ عمرو وخاصة عندما كان يلقي الدروس العلمية وحلقات العلم في منزله، حتى بلغت في العلم مبلغًا، كما تعلمت الكتابة والإملاء بدليل أنها ساعدت أخاها في كتابة مدونة غانم الخراساني، أيضًا كانت تشارك الطلبة والعلماء في مجالسهم العلمية والفقهية (55).

ومن شيوخها بعد أخيها عمرو بن فتح، أيضًا درست على يد الشيخ أبي حمزة سدرات إبراهيم (56).

53 - الشماخي، مصدر سابق، ص 252، ج 1.

54 - البغطوري، مصدر سابق، ص 131.

55 - الوارجلاني، مصدر سابق، ص 38.

56 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 111.

وكان لها دور في تحفيز النساء على الدراسة وتعلّم أمور دينهن ودنياهن، وأن يكون للمرأة دور في نشر العلم وإصلاحه وتطويره في المجتمع.

8 - العالمة أم يحيى تكسليت:

ومن عالمات الجبل نذكر أيضاً العالمة أم يحيى تكسليت والتي لم تذكر المصادر مواليدها إلا أنها عاشت في أواخر القرن الثالث الهجري وكانت من قرية تيمصليت على الرغم من اختلاف المصادر في تحديد القرية التي تنتسب إليها أم يحيى، أما عن شيوخها، فتتلمذت على يد شيوخ كثير منهم الشيخ أبو غلبون من تمنكرت، وكذلك الشيخ أبان بن وسيم بويغو، وتزوجت من أحد علماء الجبل وهو أبو ميمون الجبيطالي، كما سلكت منهجه وطريقته بعد وفاته في استقبال العلماء في بيته ومناقشة وتبادل العلم والمناظرات بينهم، وكان لها دورها في تأسيس أول مدرسة للنساء وتعليمهن فيها، وعرفت بمدرسة امسين، كما كانت بمثابة محل إقامة للنساء البعيدات أو من المناطق النائية (57).

خامسا / نماذج من مؤلفات علماء الجبل: -

امتلأت الخزائن والمكتبات في الجبل بالعديد من مؤلفات العلماء النفوسيين بالتعاون مع علماء من خارج الجبل من مختلف الجهات والمدن، والتي كانت مختلفة ومتنوعة، في مختلف العلوم والمجالات، خصوصاً فيما يتعلق بالعلوم الدينية، مثل علم الفقه وعلم التفسير وعلم الكلام، منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي؛ على اعتبار القرن الثاني هو بداية تأسيس لمختلف مقومات الحياة العلمية وإنشاء المراكز العلمية من مدارس ومساجد وغيرها، أما ظهور التأليف، فقد بدأ بشكل واضح وكبير في

57 - المرجع نفسه، ص 115.

القرن الثالث الهجري، ومن مؤلفات هذا القرن والذي يعد من أقدم مؤلفات جبل نفوسة هو كتاب بدء الإسلام وشرائع الدين لمؤلفه الشيخ: لواب بن سلام الإغريمانى (58). كذلك كتاب الشيخ عمرو بن فتح المساكني في القرن الثالث الهجري أيضاً بعنوان (أصول الدينونة الصافية)، المعروف بكتاب (العمروسي) (59).

كذلك من أهم المؤلفات ذات العمل الجماعي المشترك بين عدد من العلماء، مثل: موسوعة ديوان الأشياخ التي كانت خاصة بالعبادات والأحكام والفقه، فكان من علماء الجبل الذين ساهموا في تأليف هذا الديوان هو الشيخ أبو زكريا يحيى اللالوتي النفوسي ويرجع نسبه إلى مدينة اللالوت "نالوت الآن". وكان ذلك العمل في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي (60).

أيضاً علينا التنويه على العمل الذي قام به عمرو بن عندما قام بنسخ مدونة أبي غانم الخرساني عندما تركها عنده فقام بنسخها بمساعدة أخته العالمة المعروفة باسم أخت عمرو بن وأنهى نسخها في اثني عشر جزءاً، التي ظلت يعتمد عليها أهل المذهب وطلبة العلم والناس عامة، بعد أن أحرقت النسخة الأصلية للمدونة في "مكتبة المعصومة" (61).

ومن مؤلفات علماء الجبل كتاب الوضع لأبي زكريا يحيى الجناوني وهو كتاب مختصر في علم الفقه وأصول الدين، وكتاب الوضع (كتاب الرهن)، وكتاب الأحكام، وكتاب الصوم لمؤلفه الشيخ أبي ستة محمد بن عمر حاشية، وكانت الناس كثيراً ما

58 - حسن الكوردي، مرجع سابق، ص 165.

59 - البغطوري، مصدر سابق، ص 133.

60 - الشماخي، مصدر سابق، ص 226 - 227.

61 - الشماخي، مصدر سابق، ص 228.

تعتمد عليه في الفتاوى لما تميز به من سلاسة في الأسلوب وكتابه للراجح من الأقوال⁽⁶²⁾، وكان ذلك العمل في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي. وكذلك كتاب الإيضاح للشيخ عامر الشماخي في الفقه والذي تم تأليفه في القرن الثامن هجري والرابع عشر الميلادي، ووصفه الشماخي بأنه أفضل الكتب حيث قال: "ما أظن ألفَ المذهب مثله جمعًا وتعليلاً واختصاراً..."⁽⁶³⁾ وكذلك كتاب ديوان الأشياخ للمؤلف أبي زكريا يحيى بن الخير، فهو في المرتبة الثانية أهميةً وقيمةً عند الشماخي⁽⁶⁴⁾.

كما تذكر المصادر كتاب الشيخ أبي موسى عيسى بن عيسى النفوسي الذي كان بعنوان كتاب السؤالات، وكتاب الطهارات للشيخ توفيق بن يحيى الجنائوني في القرن السادس هجري⁽⁶⁵⁾.

ومن العلماء الذين اهتموا بكتابة التاريخ والسير الشيخ مقر بن محمد البغطوري الذي ألف كتابًا في السير واختلفت المصادر في التسمية، قيل كتاب السير، وأيضًا كتاب سير نفوسة، وهناك من ذكره باسم كتاب سير أشياخ نفوسة، ويفيدنا البغطوري أنه أتم تأليف كتابه في عام 599 هـ 1202 م⁽⁶⁶⁾.

ومن مؤلفي الجبل الشيخ إسماعيل الجيطالي الذ كان له عدة مؤلفات في القرن الثامن الهجري، منها كتاب قواعد الإسلام، وكتاب قناطر الخيرات، وشرح النونية لأبي

62 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 169.

63 - الشماخي، مصدر سابق، ص 560.

64 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

65 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 170.

66 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نصر بن نوح التملوشايتي (67).

وألف الشيخ أبو العباس بن أبي عبد الله بن بكر النفوسي كتباً عديدة منها: كتاب أصول الأراضين، وكتاب الألواح، كما ذكرت المصادر بأنه ألف كتاباً من خمسة وعشرين جزءاً (68)، ولكن لم تذكر هذه المصادر اسم هذا الكتاب.

سادسا / اسلوب التدريس وطريقة التعليم -

حرص أهالي الجبل على تعليم أبنائهم منذ سن الصغر وإرسالهم إلى المساجد والكتاتيب والمدارس، فكانت طريقة التدريس فيها، هي نفسها المتبعة في كل أقطار العالم الإسلامي، حيث يتعلم الطلاب فيها الكتابة وقراءة القرآن واللغة العربية والإعراب، وهذه المرحلة تسمى الابتدائية، وتكون فيها أعمار التلاميذ ما بين الخامسة إلى الخامسة عشرة، وتسمى هذه المرحلة أيضاً مرحلة الصبا (69)، وفي هذه المرحلة يحفظ فيها التلاميذ القرآن الكريم ليتربوا على تعاليمه ويتخلقوا بخلقه.

أيضاً في المرحلة الثانية من التعليم وهي مرحلة المتوسط يتم التعليم فيها في مختلف مساجد ومدارس الجبل، ووقت الدراسة غالباً ما يكون في المساء، فكان المشايخ يدرسون هذه الفئة بعد صلاة العصر إلى وقت المغرب، ثم يكملوا حتى وقت صلاة العشاء (70)، والمنهج فيها غالباً مقتصر على اللغة العربية والنحو والفقه والحديث والمنطق، ومن بين كتب الفقه التي يدرسونها كتاب الوضع لأبي زكريا الجناوني

67 - المرجع نفسه، ص 173.

68 - الشماخي، مصدر سابق، ص 423.

69 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 85.

70 - الشماخي، مصدر سابق، ص 334.

(71)، أما بالنسبة للصرف على الطلاب، فكان أغلبه من الصدقات ومن تبرعات أهالي المنطقة الميسوري الحال ومن صندوق الزكاة، أما بالنسبة لمرحلة التعليم العالي، وهي أعلى مراحل التعليم في الجبل، وهي المرحلة التي وصل إليها أغلب علماء الجبل، وكانت مفتوحة غير محدودة السنوات لمن أراد أن يُبجَرَ في العلوم ويتفوق في القراءات، ومن أبرز العلوم التي كانت تدرس في هذه المرحلة، علم الكلام وعلم المنطق وأصول الدين، ومن الكتب التي تناولها طلاب هذه المرحلة كتاب العدل في أصول الفقه للشيخ العالم أبي يعقوب بن إبراهيم الوريثاني (72)، وكان الطلاب يعتمدون في دراستهم على علمائهم بالجبل وأهم مؤلفاتهم في مكتبات الجبل، والتي كانت بأعداد كبيرة في مختلف العلوم لا سيما الدينية منها (73).

كما يمكننا أن نشير إلى دور العلماء في نشر العلم والتشجيع عليه بطرق عديدة، أهمها التبرع بثرواتهم وأملاكهم في سبيل العلم والإنفاق على طلابهم، فكان من أمثال هؤلاء الشيخ أبو يحيى الباروني الذي كان يمتلك ثروة طائلة ينفق منها على الأقسام الداخلية في المدرسة التي أسسها وعُرِفَتْ باسمه وهي مدرسة الباروني (74).

71 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 65.

72 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 86.

73 - الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص 445.

74 - حسين الكوردي، مرجع سابق، ص 72.

الخاتمة: -

وفي ختام هذه الدراسة توصل الباحثان الى جملة من النتائج:

- 1- توجه سكان الجبل الى العلم والتعليم، فقاموا بالرحلات العلمية فرادى وجماعات الى المراكز الحضارية العربية الإسلامية، وعادوا الى الجبل لنشر العلوم والفنون.
- 2- ازداد الاهتمام والتطوير العلمي في الجبل من خلال حلقات العلم والمجالس العلمية التي كان يقوم بها العلماء سواء في منازلهم أو المساجد بعد الانتهاء من الصلاة أو حتى في الأماكن العامة لجلب أكبر عدد من الطلاب والتلاميذ.
- 3- أوضحت الدراسة دور المراكز العلمية في النهوض بالحركة العلمية من خلال المساجد والمدارس والمكتبات.
- 4- الأهمية العلمية عند أهالي الجبل عبر القرون الوسيطة، تجلت بوضوح في كثرة العلماء والفقهاء والعالمات والمفكرين والطلاب الوافدين على الدراسة وطلب العلم.
- 5- انشاء المكتبات أو ما يعرف بالديوان بجبل نفوسة وزودوها بمؤلفاتهم وكتبهم في مختلف التخصصات وبذلك خلقوا المنافع العلمي لطلاب العلم والمعرفة.
- 6- لم يبخل أهالي نفوسة في دعم العلم وتشجيع العلماء والانفاق على طلاب الجبل وتحفيزهم على العلم ونسخوا الكتب والمدونات وصرفوا على ذلك أموالاً طائلة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- 1- البغظوري، مقر بن محمد، سيرة أهل نفوسة، مخطوط، مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.
- 2- الشماخي، أبو العباس احمد بن عبد الواحد، السير، مخطوط، مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.

- 3- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1998.
- 4- الدرجيني، أبو العباس احمد، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تحقيق إبراهيم طلاي، قسطينة، مطبعة البعث، 1974.
- 5- الوارجلاني، يحيى بن ابي بكر، السير وأخبار الأئمة، مخطوط بمكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات اللبية.

ثانياً: المراجع والمجلات العلمية:

- 1- الكوردي، محمود حسين، الحياة العلمية في جبل نفوسة، منشورات مؤسسة تاولت الثقافية، سلسلة دراسات تاريخية، مؤسسة تاولت الثقافية، 2008.
- 2- القيرواني، أبو العرب محمد، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشايبي، ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- 3- احمد، منير الدين، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، دار المريخ للنشر، سنة 1981م.
- 4- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.

ثالثاً: البحوث والمجلات العلمية:

- 1- مرغيت، محمد، البعثة العمرية وأثرها في توطين الإسلام والعربية ببلاد الغرب الإسلامي، مجلة الحوار الفكري، العدد 11، جامعة ادرار، الجزائر، 2016.
- 2- غريبيل، سالم جمعة، مظاهر الحياة العلمية في جبل نفوسة (2-5 هـ / 8-11 م)، مجلة المنتدى الجامعي، العدد 28، 2021.
- 3- الندابي، ناصر بن علي بن سالم، الشريف، شريفة عبد الرزاق، منازل العلماء ودورها في النهضة العلمية بجبل نفوسة، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد 44، 20